الفصل الأول

ضرورة العمل الحركي النسائي

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

ضرورة العمل الحركي النسائي

إن أي فكـرة لا تجـد مجموعة من الناس يقومون لها ويتهيؤون للدفاع عنها ونشـرهـا لا شك أنها ستموت في مهدها، أو على الأقل ستمرض ويطول بها أمد المرض وتبقى طريحة الفراش، حتى يأتي من يعالجها ويبعد عنها غبار الزمن وأتعاب المـرض، ويعـرضها على مجموعة من الأشخاص ليشكلوا نواة حركة أصلها هذه الفكرة الجديدة. إن الفكرة التي لا يتحرك بها أصحابها ولا يناصرونها ويجاهدون من أجلهـا سرعـان ما تذوب وتنسى مهما كانت هذه الفكرة من الروعة والإبداع، وبمقـدار نشـاط ومثـابـرة القائمين العاملين على هذه الفكرة وبمقدار استقطابهم لجمهور الناس يكون نجاح الفكرة، وبالتالي تتشكل لدينا الحركة التي تتكون من مجموعة من الناس وعلى رأسها القيادة ولها هيكلها التنظيمي. وللحركة ـ أي حركة ـ فكرة معينة تريد أن تحققها بين الناس مهما كانت هذه الفكرة بسيطة أو تافهة أحياناً أو صعبة التحقيق على أرض الواقع إلا أنها تحاول أن تبني لنفسها أنصارا.

ومن هنا تأتي أهمية البناء الحركي التنظيمي وهو البناء الذي لم يهتم به كثيراً معـظم المصلحين الـذين حرصوا على تغيير الأوضـاع القائمة بأوضاع أفضل في الـوطن العـربي، فانـظر مثـلاً أين البعد التنظيمي الحركي في دعوة جمال الدين الأفغاني رحمه الله، وأين البعد التنظيمي الحركي عند المصلح محمد عبده رحمه الله، وأين البعد التنظيمي الحركي عند المصلح عبد الرحمن الكواكبي رحمه الله، هؤلاء المصلحون الثلاثة الذين ذاع صيتهم في الآفاق جاؤوا بأفكار إصلاحية جيدة إلا أنهم لم يشكّلوا بعداً أو بناء حركياً يعمل على تحقيق أفكارهم الإصلاحية سواء في حياتهم أو اكمـال الـطريق بعد مماتهم. ولذلك سرعان ما أصبحت أفكارهم

وآراؤهم الإصلاحية مجرد تاريخ يدرّس لأهل الاختصاص[1].

وبالمقابل عند النظر إلى الفكر الإصلاحي عند الإمام المصلح حسن البنا ـ رحمه الله ـ، نجد أنه جاء بأفكار إصلاحية مثله مثل الأفغاني ومحمد عبده والكواكبي رحمهم الله، إلا أن أفكار الثلاثة لم يكن لها التأثير أو الصدى الذي كان لدعوة الإمام حسن البنا، والسبب أن الثاني ـ حسن البنا ـ حرص على تشكيل بناء حركي بعكس غيره من المصلحين. فيبقى تأثير حسن البنا كمصلح للقرن العشرين في العالم الإسلامي عن طريق الجماعة ـ البناء الحركي ـ التي أسسها. لقد وجدت أفكار حسن البنا من يحملها إلى الآفاق عن طريق الحركيين الذين أحاطوا به في حياته وواصلوا طريقه بعد استشهاده. أما المصلحون الثلاثة الأفغاني ومحمد عبده والكواكبي فقد أصبحت أفكارهم الآن في طور الاحتضار، والسبب بيّن واضح وهو اهمالهم البناء التنظيمي الحركي الذي يواصل المشوار التغييري[2].

ولنرى تجربة حركية أخرى:

فهذا المصلح التركي الكردي الإسلامي سعيد النورسي ـ رحمه الله ـ الملقب ببديع الزمان الذي سار لإصلاح تركيا مركز الخلافة الضائعة (التي قضي عليها)، حارب هذا المصلح وجاهد ووقع أسيراً أكثر من مرة وعذب وسجن في محاكم أتاتورك الصورية وأنشأ جمعية الاتحاد المحمدي ثم أنشأ بناء حركياً قوياً يعتمد عليه في نشر

---

(١) يجب أن لا يفهم من هذا أننا نقلل من قيمة المصلحين الثلاثة في تغيير الأوضاع المأساوية القائمة في عهدهم بل على العكس إنهم تركوا آثاراً على مجتمعاتهم آنذاك إلا أن شخصياتهم كان لها أثر ملموس في تمرير إصلاحاتهم في حياتهم فالأثر الذي كان لهم نتيجة ارتباط إصلاحاتهم بشخصياتهم القوية ذات التأثير الشعبي.

(٢) هذا لا يعني أنهم لم تكن لهم أية ومحاولة لبناء حركي تغييري، فقد حاول الأفغاني إنشاء جمعية العروة الوثقى مع محمد عبده وجمعية أم القرى إلا أن السلطان عبد الحميد الثاني (السلطان العثماني) قضى عليه.

أفكاره وهي جماعة النور ـ في وقت ما ـ التي انتشرت في كل تركيا لتحمل وتنشر الفكر الصافي، الذي عبر عنه النورسي في رسائله ومن خلال حركته وجماعته ومقاومة إجراءات كمال أتاتورك الإلحادية، خصوصاً بعد وفاة مؤسسها ومقاومة الأفكار والتقاليد المنحرفة. لقد أسس النورسي جماعة النور التي واصلت الطريق من بعده[1].

ونرى بالمقابل مصلحاً عاش في نفس الفترة الزمنية وهو محمد رشيد رضا ـ رحمه الله ـ الذي بث أفكاره الإصلاحية من خلال مجلة «المنار» التي أسسها وبقي المسؤول عنها وقدم تراثاً علمياً عظيماً، وطالب بإصلاحات عظيمة سواء على مستوى الفرد أو المجتمع إلا أن إهماله الواضح لبناء حركي يواصل رسالته من بعده ـ كاستاذه محمد عبده وكالأفغاني والكواكبي ـ حال دون أن تبقى أفكاره لتؤثر على المجتمع العربي ودون أن تحمل كأفكار فاعلة من جيل إلى جيل عن طريق الرجال والأتباع ـ إلا تأثيراً بسيطاً لا يكاد يذكر عن طريق الكتب والمؤلفات العلمية ـ، فبقيت مطالبه نظرية ليس هناك من يحرص عليها أو يطالب بتنفيذها بعد مماته.

إن هاتين التجربتين تظهران لزومية الاهتمام بالبناء الحركي لنقل الأفكار الإصلاحية وتنفيذها من جيل إلى جيل فبدلاً من أن يتأثر بخيرها جيل المصلح فقط

---

(١) عندما برز حزب السلامة كواجهة عمل إسلامي حركي في تركيا تمكن من استقطاب معظم القوى الإسلامية وكان شباب النور من ضمن من استقطبهم التنظيم الجديد، ثم انسحب شباب النور من حزب السلامة واتجهوا نحو ثلاثة اتجاهات الأول اتجاه التحم مع حزب السلامة التحاماً عضوياً، والثاني اتجاه بقي على الحياد تشكل من حزب النظام الوطني (ملي نظام)، واتجاه ثالث أعلن عداوته لحزب السلامة، إن جماعة النور بعد وفاة صاحبها ومؤسسها المرحوم سعيد النورسي اتجهت فرقاً ومدارس شتى يصعب تحديد مواصفاتها وسياستها ومواقعها في مثل هذه العجالة غير أن الذي لا شك فيه أنها لم تعد الحركة القادرة على مواجهة التحدي الحضاري والعودة بتركيا إلى الإسلام من جديد/ عن (الموسوعة الحركية/ لفتحي يكن).

فلم لا تستفيد منها كل الأجيال التالية حتى يعم خير الإصلاح والمصلحين كل الأجيال؟ وما ينطبق على الأفكار الإصلاحية العامة ينطبق على الأفكار التي تهتم بشؤون المرأة بوجه عام.

* * *

نحو حركة نسائية:

فالذي نريده من الأفكار الإصلاحية التي تهتم بشؤون المرأة المسلمة إن تشكل تشكيلاً حركياً يطالب باستئناف الحياة الإسلامية أولاً، ثم يأتي تحرير المرأة المسلمة كنتيجة حتمية لاستئناف هذه الحياة، فلو بقيت قضايا النهضة النسوية أفكاراً، وقد كانت كذلك في بداية الأمر لما رأت النور وبقيت المرأة حبيسة هذه الأفكار وتعيش على هواجسها. ولكن علينا أن لا ننسى أن أي تغيير اجتماعي أو غير اجتماعي أو حتى قيام ثورة على النظم القائمة يبدأ بأفكار ثم تنفذ هذه الأفكار من خلال جماعات وأحزاب أو حركات تغييرية.

يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله في كتابه «هذا الدين»: «فالمنهج إنما يتحقق بأن تحمله جماعة من البشر يؤمنون به إيماناً كاملاً وتستقيم عليه بقدر طاقتها تجتهد لتحقيقه في قلوب الآخرين وفي حياتهم كذلك».

فالمنهج ـ أي منهج أو فكرة ـ لا بد لها من جماعة أو مجموعة تعمل لها وتدافع عنها وهو الأمر الذي اغفلته المرأة القديمة ولو جزئياً، فكان هذا الإغفال بالإضافة إلى السبب الرئيسي في الانحدار النسوي وهو الانحراف في التصورات العقائدية لدى الأمم القديمة هما سبب الداء النسوي على مدار تاريخ المرأة العام.

وحتى هنا مفارقات عقدية... فمثلاً لماذا تُقَدَّم الأنثى قرباناً للآلهة أو قرباناً للنيل؟ لماذا لم يقدموا أفضل ما لديهم وأحبه هدية للآلهة ـ آكلة البشر ـ حتى ترضى؟ لِمَ لا يقدمون الولد الذكر ذا المقام العالي، أليس ذلك أرضى للآلهة؟ لماذا يضحون

بامرأة لا وزن لها ولا قيمة ـ حسب معتقداتهم طبعاً ـ أليس الذي يريد أن يتقرب إلى الآلهة يضحي بأحسن ما عنده فلماذا إذن لا يضحون بالذكر بدلاً من الأنثى المسحوقة؟ مفارقة غريبة وظلم آخر يحيق بالمرأة وهكذا هي إرادة الكهنة وهكذا هي إرادة الآلهة المزيفة.

لقد كان على المرأة إذا أرادت أن تتحرر من العبودية والظلم ـ وهي الضعيفة ـ التي تعمل بمفردها أن تجتاز بناء قوياً وعقبة أولى وهي الامبراطور أو زعيم القبيلة، وحاشيته المعارضة لحريتها وحتى لو سلمت من العقبة الأولى فستواجهها عقبة كؤود أخرى ممثلة في البناء الحركي القوي للكهنة الذين لا يتنازلون بهذه السهولة أمام مصالحهم أو أرائهم المقدسة وحتى لو تعدت هاتين العقبتين فعليها أن تجتاز العقبة الثالثة ممثلة في عادات وتقاليد وقيم ذكورية تعمقت في الذكور، فكيف للمرأة أن تواجه هذه العقبات الحركية الثلاث وهي التي تعمل بمفردها ولا تعمل ضمن بناء حركي وإن عملت يبقى البناء ضعيفاً إذا ما قورن بقوة الأبنية الحركية الثلاث الآنفة الذكر.

ولنترك تلك الفترة المظلمة في تاريخ المرأة ولنأت إلى مرحلة النهضة المستنيرة التي تلت هذه المرحلة مباشرة بالنسبة للمرأة والتي نقلتها من طور إلى طور آخر متميز كل التميز عن الطور الذي سبقه نقلت المرأة من حال إلى حال، فقد أعيد في هذه المرحلة بناء المرأة الاعتقادي أولاً وكذلك أُعيد بناؤها العائلي والسلوكي وبالإجمال لقد تم في هذه المرحلة إعادة تشكيل العقل النسوي من جديد وأعطت لأولويات التفكير بعداً آخر عما كان سابقاً بالنسبة للفكر النسوي وقبل هذا وذاك تشكيل البناء العقدي الجديد فنظرت إلى الحياة والإنسان نظرة جديدة، ونظرت إليها الحياة والإنسان نظرة جديدة كذلك. لقد كانت هذه النقلة الإسلامية لحياة المرأة.

إلا أن هذه النقلة لم تأت في الواقع نتيجة جهود المرأة المضنية في التحرر من العبودية والكهنة في المجتمعات الجاهلية بل على العكس، إن المرأة وبعد أن ورثت الذل والخضوع والهوان عبر الأجيال أصبحت العبودية للرجل أمراً عادياً أو يكاد يكون

عادياً لا يخرج عن مألوف حياتها اليومية فقد ورثته عن أمها التي ورثته بدورها عن أمها، وهكذا، فكيف تفكر المرأة ـ والحال هذه ـ في تمزيق أغلال العبودية عبودية الأب الذي يتشاءم من ولادتها أولاً، أم عبودية الزوج الذي إن مات اعتبرها أولاده من بعده إرثاً كغيرها من سقط المتاع، وللولد الأكبر حق في زوجة أبيه أكثر من غيره، أغلال الأب أولاً، ثم أغلال الزوج ثانياً، ثم أغلال أبناء الزوج ثالثاً، وهكذا تنتقل المرأة من عبودية إلى أخرى. وهكذا كل نساء الأرض، فإذا كانت كل نساء الأرض مسجونـة بسجن محكم الإغلاق فمن يستطيع أن يحرر المرأة من هذا السجن، المرأة، الرجل الأمبراطور، الكهنة، أمن من؟؟

فالمرأة لا تستطيع أن تمنح نفسها الحرية لأن فاقد الشيء لا يعطيه، فكيف يستطيع العبد أن يمنح الحرية لعبد مثله أم هل كان على المرأة الجاهلية أن تدرس حياة المرأة الهندية وتتأثر بها إذاً ستحرق المرأة العربية وهي على قيد الحياة إذا مات زوجها، أم أن على اليونانية أن تأخذ عن الرومانية إذاً أصبحت فاقدة للأهلية الحقوقية والأهلية الفعلية الواقعية، وإذا أخذت المرأة اليونانية عن المرأة العربية فسوف توأد وهي على قيد الحياة، وإذا أخذت الرومانية والعربية عن اليونانية لأصبحت المرأة الرومانية والمرأة العربية رجساً من عمل الشيطان. فكل نساء الأرض آنذاك فاقدة لحياة الحرية والأهلية فمن أين تأخذ المرأة الحرية(1).

ومن الرجل ومن أي الرجال تأخذ المرأة الحرية؟ من الرجل العربي أم الرجل الـرومـاني اللذين سجنا المرأة وقذفا بالمفتاح في اليَمِّ حتى تبقى محجورة مقهورة مغلولة. أم من الرجل اليوناني والهندي اللذين أوثقاها أشد الوثاق حتى يستعصي حل الوثاق ولا يستطيع أن يحله أحد. إن المرأة إذا رأت أن في أمثال هؤلاء خيراً فهي كالذي يجني من الشوك العنب، وحالها إذاً كحال المستجير من الرمضاء بالنار.

---

(1) هناك بعض الفترات التي شهدت بعض الانفتاح النسوي مثل المرأة الاسبارطية والمرأة العربية التي شاركت في بعض أوجه النشاطات العامة الفكرية والشعرية إلا أن هذا الانفتاح البسيط لا يعني أن المرأة حصلت على حقوقها بل ظلت مقهورة ومغلوب على أمرها.

وهكذا غلت المرأة وسحقت وظلت بلا منقذ من هذه الأغلال فهي لا تستطيع تخليص نفسها والرجل لا يستطيع تخليصها لأنه إن فعل وخلصها فستعود برجولته إلى الخلف، ـ هكذا كان يعتقد ـ.

لذلك كان لا بد من أن تأتي معجزة وتخلص المرأة من هذا الجحيم وإلا لن تحطم أغلالها، وفعلاً جاءت العقيدة التي حطمت أغلال المرأة بعد أن أثارت الفطرة وداعبتها في الرجل وفي المرأة وحركت المحرك الموجود في كل بني البشر فوصلت إلى ما تريد، إنها عقيدة الإسلام.

يقول سيد قطب في كتابه «هذا الدين» لقد وقع الذي وقع من غلبة هذا المنهج لأنه تعامل من وراء الواقع الظاهري مع رصيد الفطرة المكنون وهو رصيد ضخم هائل لا يغلبه هذا الركام الظاهري حين يستنقذ ويجمع ويوجه ويطلق في الاتجاه المرسوم، «وجاء الإسلام يوجه هذا الواقع بلا إله إلّا الله ويخاطب الفطرة التي لا تعرف لها إلهاً إلا الله»، وبينما كان هذا الواقع سائداً في الأرض كلها، كان الإسلام يخاطب الفطرة من تحت ركام الواقع الفطرة التي تنكر هذا كله ولا تعرفه وكانت استجابة الفطرة لنداء الإسلام أقوى من هذا الواقع الثقيل».

لقد استطاع الإسلام تخليص المجتمع والمرأة من كل قيود الجاهلية والانحطاط بهذه السرعة المذهلة، وأزال الغشاوة التي ظلت تكبل المرأة مئات السنين. لقد شكل الإسلام منذ البداية حركة أساسها الفطرة التي فطر الله الناس عليها ولذلك كانت النتائج وكان الانتصار وكان الانقلاب الحركي العالمي السريع.

إن الحقيقة التي لا يختلف فيها اثنان إن هذا الدين عندما جاء استطاع أن يبني بناء حركياً قوياً جديداً كان مركزة دار الأرقم بن أبي الأرقم، إن زعيم هذه الحركة الإسلامية المكية الأولى محمد رسول الله ﷺ، كان يهيىء أتباعه لمقابلة حركة مناوئة قوية لأفكاره أو دينه الجديد وكان مركز الحركة المناوئة دار الندوة في مكة وهي النقطة التي لم تتحقق عالمية الإسلام إلا من خلالها فكان لا بد من تشكيل بناء حركي قوي

يقف في وجه البناء الحركي القوي المناوىء لافكاره وعقيدته الإسلامية الجديدة. وهذه الاستراتيجية في العمل الدعوي الحركي ساعدت الرسول ﷺ، فيما بعد على تحطيم الحركات المناوئة لافكاره ولدينه الواحدة تلو الأخرى بيسر وسهولة.

وقد سبق وأوردنا أن البناء الحركي الذي واجهته المرأة في طريق تحررها من العبودية هو الأمبراطور وحشايته أو زعماء القبائل ورجال الدين ـ الكهنة ـ الذين يحرمون ما يشاؤون ووفق أهوائهم ومصالحهم ورغباتهم. وكذلك العامة من الشعب الذين يأتمرون بأمر الامبراطور وحاشيته وأمر رجال الدين. وعندما لم تستطع المرأة التخلص من هذه العقبات أو حتى واحدة منها جاء الإسلام بمبادىء جديدة ودين جديد غير من خلاله طبقة رجال الدين ـ الكهنة ـ وأزالهم واعتبر أن كل مسلم ومسلمة مسؤول عن تطبيق الشريعة الإسلامية وأزاح الإسلام الأمبرطور أو زعيم القبيلة عن المهمة التشريعية، ووضع مكانهما شخص آخر مهمته تنفيذ المبادئ الجديدة وإقامة حكم الله في الأرض. لقد رسخ الدين الجديد في نفوس أتباعه مفاهيم جديدة وقيم ونظم جديدة تقوم على أساس العدل والمساواة ومراعاة الفطرة السليمة في الإنسان بذكره وانثاه، وأصبح على الخليفة وعلى العامة وعلى كل أفراد المجتمع مهما كان هذا الفرد أن يحكموا ويتفاعلوا مع التشريعات الجديدة ويطبقوها على الفرد والمجتمع، لا أن يأتوا بتشريعات من عند أنفسهم وفق مصالحهم ورغباتهم.

إن التجديد والتغيير اللذين حصلا للمرأة بسبب الإسلام يجعل من القرآن دستوراً وثورة، ثورة بكل المقاييس على كل النظم الجاهلية القائمة ومنها النظم النسائية ويكفي المرأة في ذلك شرفاً أن أول من دخل الإسلام كانت امرأة ـ خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ـ وأول من انفقت في سبيل الله كانت امرأة ـ خديجة بنت خويلد ـ وإن أول من استشهد في سبيل الله تحت ظل الدعوة الإسلامية المحمدية كانت امرأة سمية بنت خياط أم عمار رضي الله عنها، وإن عمر الفاروق كانت أخته سبباً في إسلامه.

وهناك عامل آخر ساعد الإسلام على قلع جذور العبودية للمرأة من المجتمع: وهو أنه عندما جاء وأصلح الأوضاع النسوية لم يصلح أوضاع المرأة من أول مرة بل أصلح نفوس عامة أتباعه أولاً والتي كانت تنظر إلى المرأة نظرة ازدراء واحتقار وعندما أصبحت نفوس أتباعه أرضاً خصبة مهيئة لأي بذار جيد يبذر فيها بذاره وهي عقيدته الربانية وأفكاره الإصلاحية الجديدة فعندما أحسن تهيئة الأرض وأحسن اختيار البذار خرجت إصلاحاته نموذجاً يحتذى به في كل بقاع الأرض فأخرج الناس رجالاً ونساء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

إن الإسلام حرر المرأة لأنه أقام بناء حركياً قوياً متماسكاً يقوم على أساس فكري صلب وأساس عقدي أصلب. فدخلت المرأة في هذا البناء الحركي مع شقيقها الرجل وتشكلت في بودقته[1] وتأثرت فيه وشاركت في حمل تبعاته وأتعابه ورفع عنها الظلم والوزر والأغلال.

والحقيقة أن المرأة لم يكن لها أي يد في عملية تحررها الإسلامية فالإسلام حرر المرأة دون إذن منها ودون وجود حركات نسائية تطالب بحقوقها قبيل مجيء الإسلام أو في أثناء نزول الوحي الإلهي وهي نادرة فريدة ووحيدة لم يسبقها مثيل، ولم يأت بعدها شبيه، فما من قانون أو نظام يصدر في القرن العشرين يخص المرأة إلا وكان للمرأة دور ما في الضغط على السلطة لاعطائها هذا الحق والشواهد على ذلك كثيرة لا تحصىٰ، بل إن الحركات النسائية الحديثة وجدت أصلاً لهذه الغاية، إلّا في الإسلام فإنه أعطاها كافة حقوقها دون ضغط منها بل وبدون أن تطالب بما أخذت من حقوق.

إن السر في قدرة الإسلام العجيبة على التغيير أنه امتلك مقومات التغيير الثلاثة الرئيسية وهي الفكرة الصحيحة السليمة القائمة على أسس فطرية في كل بني البشر

---

(١) بوتقته.

وحركيين عملوا بنشاط منقطع النظير على نشر الفكرة وتمثيلها في نفوسهم، وقيادة حركية على درجة عالية من الكفاءة والقدرة والقدوة الحسنة. فقد كانت القيادة والأفراد يهتمون أول ما يهتمون كيف تتمثل الفكرة التي يدعون إليها تمثيلاً كاملاً فيهم، لقد حرصوا على أن يكون كل واحد منهم قرآناً يمشي على الأرض فكان النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة.

في الفترة التالية، الضعف الإسلامي العام، انتاب المرأة من جديد ظلم وضيق وأغلال وكلما ضعفت الدولة الإسلامية وضعف تأثير القرآن في النفوس كلما ازدادت أغلال المرأة واعتقد البعض جاهلاً أو متجاهلاً أن الإسلام هو الذي أغل المرأة بهذه الأغلال.

جاء القرن العشرون وجاء معه بأفكار جديدة نسائية وغير نسائية وشكلت بعض النساء بناء حركياً إلا أن هذه الأبنية الحركية كانت عرجاء سرعان ما كانت تتبدل وتتغير والسبب يعود إلى انعدام الفكر الصحيح اللازم للبناء الحركي، وكذلك اصطدامها بأرض الواقع في مجتمع محافظ والشكوك حول عَلاقة هذه الحركات مع الغرب والاستعمار بالإضافة إلى تعارضها مع الفطرة في الكثير من مطالبها التي سمّتها الاصلاحية. ثم إن التغيير الذي كان يجب أن يحصل هو التغيير الكامل للشعوذات والأفكار غير الصحيحة حول مختلف القضايا ومنها المرأة التي عمت المجتمعات العربية التي كانت مسحوقة بشقيها الذكري والأنثوي.

هذا بالاضافة إلى أن محاولة الحركات النسائية الطير بنجاح واحد دون استخدام الجناح الآخر، وهو الإصلاح العام للمجتمع جعل من حركات التحرر الحديثة حركات عرجاء أو شوهاء أو لا ترى إلا بعين واحدة، كان على رائدات الاتحادات النسائية العربية أن يعملن على تحرير الوطن والمواطن من الكبت والاستعمار والفقر والفاقة والأمية وغيرها قبل المطالبة بمطالب جانبية لا يهم إلا الـ «أنا» في مجتمع كان بحاجة إلى «نحن». فالوعي العام إن أصاب أمة فهو يصيبها رجالاً ونساء.

إن انشغال الحركات النسائية بمسائل جانبية دعمت الاستعمار ـ في وقت ما ـ سواء بقصد أو غير قصد عندما ألهت الكتاب والشعب والصحافة بقضايا جوفاء هامشية إذا ما قورنت بالقضية الكبرى وهي الاستعمار والخلاص من الخضوع والذل العام الذي أصاب المجتمع.

فالانجليز في مصر أثناء الاستعمار عرفوا أهمية نشر الأفكار التي يدعون أنهم يريدون من خلالها تحرير المرأة، لكنهم في الواقع كانوا يخططون للحفاظ على المجتمع المصري ـ وغيره طبعاً ـ منحلاً ما أمكن ذلك لأن في هذا الأمر بقاء لهم وحفاظاً على أمبراطوريتهم من أن تمس بسوء.

إلا أن الأهم من ذلك أنهم عرفوا كيف يشغلون عدداً من نساء مصر بأمر تافه وذلك عن طريق أشغالهن بأحزاب نسائية تدعي تحرير المرأة ولم تكتف بريطانيا بنشر الأفكار بل أخذت على عاتقها تربية مجموعة من المصريات لجعلهن على رأس حركات نسائية لتخريب مصر بدعوى التحرر. وهذا ما حصل فعلاً فالأفكار وحدها لا تكفي إذا لم يتوفر من يحركها وينشرها بسهولة و يُيّسر لها من أجل أن تعم. فنشأت في مصر بمساعدة الانجليز مجموعة من الحركات النسائية مثل الاتحاد النسائي سنة ١٩٢٣ والذي اسسته هدى الشعراوي، وكذلك الحزب النسائي سنة ١٩٤٥ وحزب بنت النيل سنة ١٩٤٩ الذي أسسته دريه الشفيق ربيبة الانجليز ولا تزال حتى الآن لكثير من قيادات الحركة النسائية العربية ارتباطات بالحركات الاستعمارية المشبوهة.

ملخص مما سبق:

كل ما أوردناه عن دور البناء الحركي في تخليص المرأة والمجتمع من الهم والغم والكرب العظيم وإنه إذا كانت المرأة تريد أن تتحرر تحرراً حقيقياً لا تحرر زائفاً قشرياً. فعليها أولاً أن تساهم في استئناف الحياة الإسلامية باعتبار أن تحررها يصبح نتيجة حتمية لا بد منها لاستئناف الحياة الإسلامية ونعني باستئناف الحياة الإسلامية

إسلام الفرد وإسلام المجتمع وإسلام الحكومات وإسلام الأنظمة. أي بتعبير آخر تحكيم كتاب الله. واستئناف الحياة الإسلامية يوجب أو يتطلب من المرأة أن تشارك في البناء الحركي الإسلامي العالمي الذي يهدف لتحقيق هذه الغاية وبالتالي تحررها.

فالعمل الإسلامي الحركي الجماعي تأثيره أقوى ونتائجه أسرع ومجهوده في الغالب أقل على الفرد، وديمومته أكثر وبناؤه أمتن وآراؤه أصوب.

opeikandl.com